بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد . .

فقد وضعنا خطة لإصدار سلسلة من ثلاثة أجزاء عن السعادة وتنمية الصحة النفسية فى الإسلام وعلم النفس. وصدر الجزء الأول بعنوان: السعادة وتنمية الصحة النفسية: مسئولية الفرد فى الإسلام وعلم النفس سنة ٢٠٠٠، وكان الجزء الثانى بعنوان: السعادة وتنمية الصحة النفسية: مسئولية الأسرة فى الإسلام وعلم النفس. وعندما شرعنا فى إعداده وجدنا حجمه سيكون كبيراً، ويستغرق تأليفه وقتًا طويلاً، فتحولنا إلى إصداره فى سلسلة من عدة كتب ننشرها تباعًا، فكلما انتهينا من تأليف باب من أبوابه دفعناه إلى الطباعة ونشرناه، وإذا انتهينا من نشر الأبواب جميعها، جمعناها فى كتاب واحد بعد تنقيحها وتطويرها، وفق زمانها وحجمها.

ولم تتضح فكرة إصدار هذه السلسلة إلا بعد صدور الكتاب الأول منها بعنوان: الأسرة: تعريفها ووظائفها وأشكالها سنة ٢٠٠٣، والذى كان هدفه إبراز مفهوم الأسرة المسلمة ووظائفها وأشكالها، والرد على أولئك الذين يدَّعون أن وظائف الأسرة الحديثة تناقصت عما كانت عليه فى الماضى.

وقد تبنت هذه السلسلة المنحى الارتقائى فى دراسة الأسرة، وتناول كل كتاب منها مرحلة أو أكثر من مراحل دورة حياة الأسرة،

وناقش خصائصها وركز على مهام الزوجين والوالدين والأبناء فى النهوض بمسئولياتهم الأسرية. وجاء الكتاب الثانى عن الزواج وبناء الأسرة لنؤكد الصلة الوثيقة بين الزواج والأسرة، فلا أسرة بدون زواج شرعى، ولا زواج بدون أسرة. وسوف يكون الكتاب الثالث عن «الوالدية وتنشئة الأطفال»، والكتاب الرابع عن: «الوالدية وتنشئة المراهقين والشباب»، والكتاب الخامس عن «الأجدادوالأحفاد وبر الوالدين».

وسوف نعتمد فى تأليف هذه الكتب أو الأجزاء الخمسة على «منهج التأصيل الإسلامى للمعرفة فى علم النفس» فنستفيد مما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وجهود علماء النفس المسلمين وغير المسلمين عن الزواج والأسرة وصلة الرحم وفق الشروط الآتية:

١- تبنى التصور الإسلامى لطبيعة الإنسان وأهدافه فى الحياة، مع الالتزام بتشريعات الإسلام فى الزواج وبناء الأسرة والواجبات والحقوق الأسرية.

٢- الالتزام بتوجيهات الوحى مع عدم تعطيل العقل، لكى نستفيد من المصدرين: الوحى والعقل فى المناقشة وعرض الموضوعات.

٣- الاستفادة من المعارف النفسية عن الأسرة فى القرآن الكريم والسنة الشريفة وما خلَّفه علماء المسلمين من معارف نفسية واجتماعية عن الزواج والأسرة.

٤- تمحيص نظريات وقوانين علم النفس الأسرى وعلم الاجتماع العائلى وعلم نفس النمو والإرشاد الزواجى والأسرة، وأخذ ما يتفق منها مع

تشريعات الإسلام فى الزواج والأسرة، وترك ما يعارضها أو لا يتفق معها.

وتتلخص خطتنا فى البحث والتأليف فى الآتى:

١- عرض آراء العلماء - مسلمين وغير مسلمين- عن الزواج والأسرة، ثم مناقشة كل رأى، وبيان مزاياه وعيوبه فى ضوء توجيهات الإسلام وعلم النفس، مع التسليم أن الإسلام وعلم النفس لايختلفان حول الأمور قطعية الدلالة فى الحياة الزوجية والأسرية الصالحة لسعادة الإنسان- ذكراً أو أنثى- فالحقيقة العلمية- كما قال الشيخ حسن البنا (يرحمه الله) - لا تصدم القاعدة الشرعية الثابتة.

٢- تأويل ما هو ظنى فى العلوم الشرعية عن الزواج والأسرة، ليتفق مع الحقيقة العلمية الصحيحة، وتأويل ما هو ظنى فى العلوم النفسية والاجتماعية والتربوية عن الزواج والأسرة، ليتفق مع ما هو قطعى الدلالة فى العلوم الشرعية.

٣- تقديم الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة الشريفة، والأدلة العقلية من اجتهادات علماء المسلمين ومن العلوم النفسية والاجتماعية والتربوية عند مناقشة موضوعات الزواج والأسرة، ومناهج تنمية العلاقات الزوجية والوالدية والبنوة وصلة الرحم، وأساليب الوقاية والعلاج.

٤- الالتزام بتشريعات الإسلام فى الزواج والأسرة والواجبات والحقوق، من خلال عرض اجتهادات الباحث فى التأصيل على المتخصصين

فى العلوم الشرعية والنفسية والاجتماعية والتربوية، للتحقق من سلامة الاستنتاجات والاستدلالات الشرعية والنفسية، والتأكد من الدقة العلمية فى عملية التأصيل الإسلامى لموضوعات الزواج والأسرة، وضمان الموضوعية وعدم التعصب لدين أو مذهب أو نظرية، لأن التعصب يرفضه الإسلام والعلم معًا، والله نسأل أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزدنا علمًا.

د. كمال إبراهيم مرسى

مقدمة الكتاب الثانى

عندما تُزف العروس إلى عريسها، ويكتمل الزواج من الناحية الشرعية والاجتماعية تنشأ الأسرة، وتبدأ المرحلة الأولى من دورة حياتها. فالزواج وثيق الصلة بالأسرة، ولايمكن الفصل بينهما، فلا زواج من دون أسرة، ولا أسرة من دون زواج، لاسيما فى المجتمعات الإسلامية، التى يتزوج فيها الناس من أجل بناء الأسرة وإنجاب الأطفال، فالزواج فى هذه المجتمعات ليس غاية فى حد ذاته، وإنما وسيلة مشروعة لبناء الأسرة.

ويتناول علماء الشريعة الزواج من الناحية الشرعية، ليبينوا للناس أهدافه وحُكمه وأركانه وشروطه وإجراءاته، وحلاله وحرامه فى ضوء الكتاب والسنة. أما المتخصصون فى علم النفس الأسرى، وعلم الاجتماع العائلى فيبحثون فى ممارسة المسلمين للزواج، وتطبيق تشريعاته، لتحديد عوامل تنمية العلاقة الزوجية، والوقاية من الخلافات الهدامة، واتخاذ إجراءات الإرشاد والعلاج الزواجى، ليكون الزواج وفق تشريعات الإسلام «إمساكًا بمعروف» والطلاق «تسريحًا بإحسان».

ولا غنى للمهتمين بتطبيق تشريع الزواج عن فَهْم أحكامه وشروطه كما يشرحها الفقهاء فى كتب الفقه، أى لا غنى لعلماء النفس الأسرى والاجتماع من الاطلاع على فقه الأسرة ليفهموه، ويلتزموا به فى تناول قضايا الزواج والأسرة، ويستفيدوا من توجيهاته وإرشاداته فى جعل الزواج حصنا للزوجين، وفى تنمية العلاقة الزوجية والوقاية من الخلافات

وعلاج المشكلات، لكى يتحقق السكن النفسى والمودة والرحمة بين الزوجين.

لكن ليس لعلماء النفس والاجتماع أن يجتهدوا فى استنباط الأحكام الشرعية لأنهم غير مؤهلين علمياً فى العلوم الشرعية، وليس لهم أن يطبقوا الزواج وفق ما يريدون أو يعتقدون، لأن الزواج فى مجتمعاتنا تشريع سماوى، تختص العلوم الشرعية بدراسة أحكامه وشروطه وفق الكتاب والسنة.

ومهمة علماء النفس والاجتماع العائلى فى فهم فقه الأسرة وتطبيقه ليست مهمة سهلة، لاختلاف الفقهاء حول بعض قضايا الزواج التى من أهمها: **حكم الزواج**:فرض أم واجب، أم مستحب، **وبعض أشكال الزواج**: حلال أم حرام، **والأصل فى الإسلام**: الزواج بواحدة، أم مثنى وثلاث ورباع، وغير ذلك من الخلافات فى فهم التشريع، والتى تؤثر على ممارسة الزواج والتعامل مع قضاياه. ومع هذا لايجوز لعلماء النفس والاجتماع– من الناحية العلمية والدينية– أن يدرسوا الزواج والأسرة دون الرجوع إلى كتب الفقه، لاسيما فقه الأسرة، ليطبقوا شرع الله، وتتكامل جهودهم مع جهود علماء الشريعة فى النهوض بالأسرة المسلمة.

وسنتناول فى هذا الكتاب المرحلة الأولى من «دورة حياة الأسرة» وتشمل الزواج وبناء الأسرة، ونناقشها فى ثلاثة أبواب: يتناول **الباب الأول** التعريف بالزواج وأشكاله الشرعية وغير الشرعية، والتى من أهمها: الزواج بواحدة، وتعدد الزوجات، والزواج العرفى والسرى

وزواج المتعة والمسيار، وغيرها من أشكال الزواج، التى نرغب فى تعريف القارئ بها بأسلوب بسيط.

ويعرض **الباب الثانى** إجراءات الزواج وخطواته من: التفكير فى الزواج، واتخاذ قرارات اختيار الزوج أو الزوجة، وقرارات الخطبة وعقد الزواج والعرس وبناء الأسرة، وفق العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات الإسلامية، ومسئوليات الحياة الأسرية وإسهامات كل من الزوجين فى كل منها.

أما فكرة **الباب الثالث** فكانت موضوع بحث بعنوان.. «موقف الإسلام وعلم النفس من التمرد على الزواج» نشرناه فى مجلة دراسات سنة ١٩٩١ المجلد الخامس العدد ١٩ ص ١٢٢–١٥٤. وقد رأينا مناقشة الموضوع من جديد فى هذا الكتاب بعد تحديث معلوماته وتنقيحها وتوسيعها، لتشمل فكر المناهضين للأسرة التقليدية، وموقف الإسلام وعلم النفس من مزاعم الشيوعيين، والوجوديين الملحدين، وحركات تحرير المرأة عن الجنس، والزواج والأسرة، وأدوار المرأة التقليدية والحديثة، والعلاقة بين الرجل والمرأة فى الأسرة. ونأمل من هذه المناقشة توضيح ما فى هذه المزاعم من حق نؤيده وندعمه، وما فيها من باطل ندحضه ونفنده ونُعريه، لكى لا يلتبس الأمر على الباحثين فى شئون الزواج الشرعى والأسرة المسلمة، ويدخلون جحر الضب وراء أنصار الإباحية الجنسية، والمتمردين على الزواج، والمناهضين للأسرة التقليدية فقد حذرنا رسول الله ﷺ من ذلك فقال: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**» (متفق عليه).

ولايسعنى فى ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر أصحاب الفضل فى إعداد هذا الكتاب وهم كثر، وأخص منهم الأستاذ **سالم الحطاب** موجه اللغة العربية وخبير علاج صعوبات التعلم بمركز تقويم وتعليم الطفل بالكويت، على الجهد الكبير الذى بذله فى قراءة مسودة فصول الكتاب وتخريجه لبعض الأحاديث وتوجيهاته فى تحسين أسلوب الكتاب فجزاه الله خيراً.

كما أقدم شكرى وتقديرى إلى زملائى الذين ساعدونى فى تطبيق بعض الاستبيانات، وإلى الطلاب الذين أجابوا عن هذه الاستبيانات، وعبروا عن آرائهم فى موضوعات الزواج وأشكاله، ومسئوليات الأسرة، وإسهامات كل من الزوجين فيها، وقد استفدنا من آرائهم فى مناقشة موضوعات الكتاب.

كما أشكر طلاب مقرر التربية الأسرية الذين قاموا بتطبيق بعض الاستبيانات فى أسرهم وأسر أقاربهم وجيرانهم، وساعدوا فى توسيع دائرة التعبير عن الرأى فى الموضوعات السابقة وأثروا مناقشاتها.

لكل هؤلاء أقدم شكرى وتقديرى وأرجو من الله أن أكون قد أحسنت الاستفادة من جهودهم وجزاهم الله خير الجزاء.

د. كمال إبراهيم مرسى